

## التحرير والتنوير

ولام التعريف في ( الكتاب ) لتعريف الجنس أي إنزال الكتب وهو ينظر إلى قوله أنفا )  
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ) .

والباء في ( بالحق ) للملابسة أي أنزل الكتب مقترنة بالحق بعيدة عن الباطل .  
والحق : كل ما يحق أي يجب في باب الصلاح عمله ويصح أن يفسر بالأغراض الصحيحة النافعة .  
والميزان حقيقته : آلة الوزن والوزن : تقدير ثقل جسم والميزان آلة : ذات كفتين  
معتدلتين معلقتين في طرفي قضيب مستو معتدل له عروة في وسطه بحيث لا تتدلى إحدى الكفتين  
على الأخرى إذا أمسك القضيب من عروته .

والميزان هنا مستعار للعدل والهدي بقرينة قوله ( أنزل ) فإن الدين هو المنزل والدين  
يدعو إلى العدل والإنصاف في المجادلة في الدين وفي إعطاء الحقوق فشبه بالميزان في تساوي  
رجحان كفتيه قال تعالى ( وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) .  
وجملة ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) معطوفة على جملة ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق  
والميزان ) والمناسبة هي ما ذكرناه من إيدان تلك الجملة بمقدر .

وكلمة ( وما يدريك ) جارية مجرى المثل والكاف منها خطاب لغير معين بمعنى : قد تدري أي  
قد يدري الداري ف ( ما ) استفهامية والاستفهام مستعمل في التنبيه والتهئية . و ( يدريك  
من الدراية بمعنى العلم وقد علق فعل ( يدري ) عن العمل بحرف الترجي .

وعن ابن عباس كل ما جاء فعل ( ما أدراك ) فقد أعلمه الله به ( أي بينه له ) عقب كلمة ( ما  
أدراك ) فقد أعلمه الله به ( أي بينه له ) عقب كلمة ( ما أدراك ) نحو ( وما أدراك ما  
هيه نار حامية ) وكل ما جاء فيه ( وما يدريك ) لم يعلمه به " أي لم يعقبه بما يبين  
إبهامه نحو ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) ( وما يدريك لعله يزكى ) . ولعل معنى هذا  
الكلام أن الاستعمال خص كل صيغة من هاتين الصيغتين بهذا الاستعمال فتأمل .

والمعنى : أي شيء تعلمك أيها السامع الساعة قريبا أي مقتضي علمك متوفر فالخطاب لغير  
معين وفي معناه قوله تعالى ( وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) في سورة الأنعام .  
" وبعيد قريب " كلمة لزوم غلب لأنه مؤنث غير وهو ( قريب ) ب ( الساعة ) عن والإخبار A E  
للتذكير باعتبار شيء كقوله تعالى ( وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ) وقوله ( إن رحمة  
الله قريب من المحسنين ) وقد تقدم في سورة الأعراف .

( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ) يجوز  
أن تكون جملة ( يستعجل بها ) إلى آخرها حالا من ( الساعة ) . ويجوز أن تكون بيانا لجملة

( وما يدريك لعل الساعة قريب ) لما تضمنته من التنبيه والتهيئة بالنسبة إلى فريقى المؤمنين بالساعة والذين لا يؤمنون بها فذكر فيها حال كلا الفريقين تجاه ذلك التنبيه . فأما المشركون فيتلقونه بالاستهزاء والتصميم على الجحد بها وهو المراد بقوله ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) والذين آمنوا بها يعملون لما به الفوز عندها ولذلك جيء عقبها بجملة ( ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ) كما سيأتي .

والاستعجال : طلب التعجيل وتقدم في قوله تعالى ( استعجالهم بالخير ) في سورة يونس أي يطلب الذين لا يؤمنون بالساعة من النبي A أن يعجل <sup>ا</sup> بحلول الساعة ليبين صدقه تهكما واستهزاء وكناية عن اتخاذهم تأخرها دليلا على عدم وقوعها وهم آيسون منها كما دل عليه قوله في مقابله ( والذين آمنوا مشفقون منها ) . وقد تكرر منهم هذا المعنى بأساليب ذكرت في تضاعيف آي القرآن كقوله ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) ( وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ) .

والإشفاق : رجاء وقوع ما يكره أي مشفقون من أهوالها وتقدم في قوله ( وهم من خشيته مشفقون ) . وإنما جعل الإشفاق من ذات الساعة لإفادة تعظيم أهوالها حتى كان أحوالها هي ذاتها على طريقة إسناد الحكم ونحوه إلى الأعيان نحو ( حرمت عليكم الميتة ) فهم يتوخون النجاة منها بالطاعة والتقوى أي فهم لا يستعجلون بها وإنما يغتنمون بقاءهم في الدنيا للعمل الصالح والتوبة